

قراءة في مخطوطه: "نفث القلم شرح لامية العجم"

لابن آب المزمري

د. عبد الغفار بن نعمة

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

الملخص :

تعتبر لامية العجم من أهم القصائد العربية التي تتناول اهتمام العجم بالحياة الأدبية، كتبها الإمام الطغرائي في الوقت الذي شاع عند الناس أن العرب وحدهم من طوروا الأدب ودرسوا قضاياها ومسائله.

العديد من الكتب تذكر ذلك الصراع الخفي بين العرب والعجم في صورة تلك المعارك الأدبية التي احتفظت أيضا بواقع علمي راق، وعكست حجم التنافس بين الجنسين، وفي كثير من الأحيان نقف على تلك الأحكام التي تُفاضل بين الأعمال الأدبية الصادرة في هذا المجال. لهذا نجد الطغرائي يكتب قصيدته على النسق الذي كتب به الشنفرى قصيدته المشهورة لامية العرب، والتي احتلت ولا تزال مكانتها في الترسانة الشعرية العربية.

وعليه فإن هذا المخطوط يتناول شرحا للامية العجم كتبه بن آب المزمري مسجلا بذلك إضافة معرفية للشروح القليلة التي تناولت قصيدة الطغرائي، نحاول

من خلال هذه الدراسة تقديم المخطوط و مؤلفه الأصلي و شارحه، والمصادر التي اعتمد عليها الشارح مع مختلف القضايا الأدبية التي تعرض لها.

Abstract :

Lamiyat El Ajaam; (an Arabic poem which its words ends with L), is among the important Arabic poems that deals with foreigners' interests in literary life, it was written by imam "Al Tughrai" at the time when it was widespread that Arabs, alone, developed literature and studied its issues and theorem.

Many books mention the hidden conflict between Arabs and Non-Arabs in the image of those literary battles that also retained a high scientific fact, and reflected the size of rivalry between the two races, in many cases we stand on those provisions that differentiate between the literary works published in this field. That's why we find "Al Tughrai" writes its poem with the same method used by Al Shanfari in his famous poem "Lamyat Al Arab", which occupied, and still does, its position in the Arabic arsenal poetry.

Accordingly, this manuscript deals with an explanation of "lamiyat al ajam" written by "Ben Ab Al mazmari" registering an added cognitive few explanations about Al-Tughrai's poem, we try to introduce, through this study, the manuscript, its original author and its commentator, and also the sources relied upon this latter with the various literary cases which he faced.

مقدمة:

لا تزال العديد من رفوف المكتبات العامة والخاصة تحتزن كمًا محترمًا من المخطوطات، وعلى تباين الجهود واختلافها يكون التعريف بالمخطوط أقل خدمة

يمكن تقديمها في ظلّ الحصار المضروب على التراث العربي والإسلامي في العموم، وقد لا نجد في مجرد التعريف والتقديم بالمخطوط تلك الحاجة المنتظرة، فالعمل الجاد في هذا الصدد يكتمل بالتدليل على النسخ المتبقية ومن ثمّ تطوير العملية من التعريف على التحقيق، بالقدر الذي يحفظ المخطوط في شكله ومضمونه وقيّمته.

ربما تكثر مثل هذه الدعوات العلمية، ولا تقابلها تلك الآذان الصاغية، خاصة وأنّ الانتباه إلى المخطوطات وقيمتها العلمية أضحى سائدا بطريقة سريعة وغريبة، بل انتقل من الملكية العامة كتراث عربي وإسلامي إلى ملكية خاصة جدا يصعب انتقالها وذيوعها، وعلى هذا الأساس يزول المخطوط بزوال مالكه لا بزوال صاحبه، إذ يشترك الناس كلّهم في المادة العلمية المبثوثة فيه.

دعونا لا نُلقِي اللوم والعتاب على المالكين فحسب، فذاكرتهم الجماعية تحتفظ بتلك التصرفات اللاعلمية التي تركها بعض العاملين على المخطوطات قي أذهانهم، ولنظرتهم المادية الجريئة حُرْم الحقل الأكاديمي من تراث ثمين لا تكاد تصل إليه الأيدي إلا صدفة أو اتفاقا، ومع ذلك فالدعوات العلمية الصادقة لا تزال قائمة، والرغبة العلمية الملحة في التعريف والتحقيق والفهرسة لا يُعكّر صفوها الرغبة المادية المحفّة.

التعريف بلامية العجم:

تشكّل لامية العجم حلقة مهمة في التراث الشعري خلال القرن الخامس الهجري، طال زمن الاهتمام بها إلى العصر الحديث، لما تشمله من مواضيع وفنون مختلفة، ومن الضروري التنبيه في ثنايا البحث عن سرّ أهميتها إلى ذلك الصراع الخفي بين العرب والعجم في صورته الأدبية، فالقصيدة بعد التقصي تعكس القيمة الأدبية

للعجم الذين عانوا من سيطرة العرب الأدبية، جاءت لتؤكد أن للعجم دورا بارزا في نشأة الحركة الأدبية وتطورها.

النظر السريع في التراث الأدبي يدلنا إلى الشنفرى¹ ذلك الشاعر الجاهلي الذي جعل من قصيدته اللامية المسماة بلامية العرب مفخرة عربية مرموقة، ولا تزال هي الأخرى تشكل الاستثناء في الخصال والأوصاف العربية، نظمها الشنفرى وهو في أوج عطائه الشعري، وشرحها الشارحون على دقة من الوصف والتحليل.

ويبدو واضحا إذا من خلال هذه الأسطر أن اللاميتين على صراع أدبي تردّ إحدهما على الأخرى رغم تباعد الزمان والمكان، فعذا كانت لامية العرب تكعس نوعا من أنواع الحياة السائدة لدى العرب — والتي ترأسها الموصوفون بالصعاليك آنذاك، فقد جاءت لامية العجم إثباتا لقيمة العجم الأدبية التي لا تكاد تظهر أمام المستوى العربي في الأداء والتعبير، ورغم حديث قصيدة الشنفرى عن الصعلكة فيجب علينا أن نؤمن أنها ليست مصطلحا سلبيا تُدين به العرب، بل هي متعة التعامل في البيئة العربية، فهي لا محال تصور جانبها من الحياة يبدو قاسيا ومريرا — لذا توصف عند الدارسين بالذرة والجوهرة وغيرها مما يليق بمقامها الأدبي.

لأجل هذا المستوى الذي ظهرت به قصيدة الشنفرى المسماة بلامية العرب جاءت لامية العجم للطغرائي والتي تبدو في صورة متحدية، وجميعنا نتفق أن اختلاط العرب بالعجم لم يكن كله إيجابيا، خاصة وأن تراثنا يحتفظ بأخطاء لسانية لا يغفرها البيان العربي بسبب هذا الاختلاط، لكنه يبدو مساحة مناسبة لتنافس قوي، مثله العرب مع الموالي في مختلف الفنون، وتجدر الإشارة أن الطغرائي لم يقصد الرد على

الشنفرى في قصيدته، لكنها كانت المترجم الرسمي لواقع العجم الأدبي، لذا فضّل الباحثون والأدباء جعل إحداها في مقابل الثانية، خاصة وأن الطغرائي جعل قصيدته مماثلة لقصيدة الشنفرى في الروي. بما يُناسب التنافس العربي العجمي الشائع في الكتب والمصنفات.

وعليه يمكننا القول أن لامية العجم أخذت مكانتها من لامية العرب، وكلاهما في أذهان الأدباء والمهتمين على مسافة واحدة في القوة والعمق مع رعاية اختلاف التعبير والذوق والأسلوب، ويمكننا الاحتفاظ بهذا الادعاء رغم أن في لامية العجم كثيرا من أحوال الطغرائي وهيئاته المختلفة.

ولأنّ القصيدة تحاكي ظروفًا قديمة خلال القرن الخامس الهجري مما يشكّل حلقة جمالية لافتة، فالأجمل منها أن يتواصل شراحها إلى زمن ابن آب المزمرى مما يدلّ على ذبوع صيتها وأهميتها في الكتابات الشعرية المختلفة، ويهمنا التنبيه أنّ للقصيدة شروحا كثيرة لا تتفق في التدليل والدليل، كما لا تتفق في معاني بعض الأبيات التي تخضع للفهم الفردي.

المؤلف الأصلي للقصيدة:

الطغرائي: هو السيد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين الأصبهاني المنشئ المعروف بالطغرائي؛ كان غزير الفضل لطيف الطبع، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر. ذكره أبو سعد ابن السمعاني في نسبة المنشئ من كتاب "الأنساب"، وأثنى عليه، وأورد قطعة من شعره في صفة الشمعة، وذكر أنه قتل في سنة خمس عشرة وخمسمائة. والطغرائي المذكور

له ديوان شعر جيد، ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم، وكان عملها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يصف حاله ويشكو زمانه،²

وعند صاحب الوفيات يطلق الطغرائي ويراد به من "يكتب الطغراء وهي الطرة التي في أعلى المناشير والكتب فوق البسمة الكاتب المنشئ"³، وحين نقرأ لابن كثير نجد أن الطغرائي تولى الوزارة في مدينة إربل⁴ للسلطان سنجر⁵ والذي عزله عنها سنة 497هـ⁶، ثم نفاه إلى عزنة⁷

تحفظ المصنفات التاريخية نهاية مؤلة للطغرائي، رغم اتفاقها على فضله وقوته الأدبية والشعرية وقربه من بساط السلطة، فقد جعله ابن العماد في الشذرات من وفيات سنة 514هـ، وقد مات مقتولا على يد الملك محمود أخ السلطان سنجر آنذاك.

محتوى المخطوط:

تشير مختلف الكتابات التي تناولت القصيدة بالتحليل أن الطغرائي كان يصف حاله في صورة زهدية كأثمة بلوم نفسه على أشياء كثيرة، والناظر إلى حياة الطغرائي المليئة بمصاحبة السلاطين قد لا يستغرب ورود لاميته على هذا النمط من العتاب. بحيث تظهر تلك الحياة مُلهية بالنسبة له على أمور الدين، وعليه فكثير من الأبيات التي وظفها تُشعر بمدى حسرة الطغرائي على كثير من المسائل التي لم يولها اهتماما طيلة حياته.

شرح القصيدة:

لاقت قصيدة الطغرائي اهتماما بالغا في التراث العربي، ولم يكن ابن المزمري أول شارح لها، فقد شرحها الصفدي (ت 764هـ)، وسماها، الغيث المسجّم في شرح لامية العجم، واختصر بعده الدميري (ت 808هـ) هذا الشرح وسّمّاه شرح لامية العجم ويشير في شرحه هذا إلى العنوان الكامل لشرح الصفدي بقوله: "هذا آخر ما أردنا تلخيصه من كتاب غيث الأدب الذي انسجم في شرح لامية العجم للشيخ الإمام أديب زمانه الشيخ صلاح الدين الصفدي سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه، وكانت مدة تلخيصه أربعة أيام من شهر ربيع الأول، سنة تسع وسبعين وستمئة⁸ وفي خزانة الأدب ننتبه إلى تلك الإشارة التي توحى أن ابن حجة (ت 837هـ) قد تناول اللامية بالشرح والتحليل في مُصنّف سّمّاه: "بروق الغيث"⁹

بداية القصيدة:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل

نهاية القصيدة:

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

ترجمة صاحب الشرح: نفث القلم شرح لامية العجم

محمد بن آب المزمري (ت 1160هـ)، هو أبو عبد الله سيدي محمد بن أُبّ بن أحمد، وفي رواية بن أحمد، بن عثمان، بن أبي بكر، المزمري نسباً، التواقي مولداً وداراً. ولد كما أكد ابنه ضيف الله في رحلته، لست سنين بقيت من القرن العاشر أي سنة (1094هـ) بقرية أولاد الحاج (ضواحي مدينة أولف التابعة حالياً لبلدية تمقطن دائرة أولف ولاية أدرار) وبها تلقى مبادئ علومه الأولى. توفي أبوه

(أب) عنه في يوم الأربعاء الثامن والعشرين (28) من عام خمسة وعشرين ومائة وألف (1125هـ) .

تعليمه ورحلاته:

بدأ اهتمام ابن آب المزمرى بالعلم مبكراً، ومن خلال ثلاث محطات رئيسية تظهر شخصيته العلمية التي اجتهد في تكوينها انطلاقاً "من قصر أولاد الحاج بنواحي أولف، ثم زاوية كنتة أين تلقى لعدد من العلوم، ثم إلى تمنطيط موطن طول المدة والجهد والتعليم، إلى أن استقر بتيميمون المدينة التي توفي بها"¹⁰

وقد جاء في المقال الذي نشره الدكتور أحمد جعفري ما يُفيد أن تلميذه سيدي عبد الرحمان بن باعومر التتلاي (ت. 1189 هـ) يذكر عن أخلاقه واهتمامه العلمي ما نصه: "كان متقناً، مجيداً، فطناً، عارفاً بباحث الشراح في مجلسه بأحسن بحث، إلا أنه كان قليل الإقراء، ضجوراً على الطلبة، وكان رحمه الله ورعاً في الفتوى لا يكاد يجيب في نازلة، ويحيل على غيره ولو كان أدنى منه، وكان كثير المطالعة لا تكاد تجد كتاباً بتوات إلا وتجد خطه فيه، وكان متقناً في الضبط لا يتساهل فيه"¹¹ .

يشير أحمد جعفري إلى نشأة المزمرى بداية من "مسقط رأسه بقصر أولاد الحاج ضواحي مدينة أولف، وبها تلقى مبادئ علومه الأولى، ثم اتصل بعد ذلك بالشيخ محمد الصالح بن المقداد (ت. ق. 12 هـ) وبعدها انتقل إلى قصر زاوية كنتة، واتصل بالشيخ الفقيه سيدي عمر بن المصطفى بن سيدي عمر الرقادي (ت. 1157 هـ)، ومكث بالزاوية طويلاً دارساً ومدرساً حتى انتقل منها لعله في

مائها متوجهاً إلى مدينة تمنطيط التي درس بها طويلاً ، ثم انتقل بعد ذلك إلى عدة مدن وأقطار عربية وإسلامية، واستقر به المطاف أخيراً بمدينة تيميمون شمال ولاية أدرار وبها تُوفي، "12، سنة (ت 1160هـ)،

مشايخه وتلامذته:

من جملة شيوخه الشيخ محمد الصالح بن المقداد (ت.ق.12هـ)، والشيخ الفقيه سيدي عمر بن المصطفى بن سيدي عمر الرقادي (ت.1157هـ)، والعلامة الولي الصالح سيدي أحمد التوجي، والشيخ بن عبد الكريم المغيلي.

أما تلامذته فقد ذكر الدكتور أحمد جعفري ما يفيد أن ابنه ضيف الله كان بينه وبين والده مناظرات نحوية عدة، جاءت في شكل أبيات شعرية تضمنتها بعض حواشي مخطوطات المنطقة، وأما تلميذه الثاني فهو الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر التلاني(ت.1189هـ) وقد سجل ذلك بنفسه ضمن سلسلة أشياخه حيث قال: "لقيته في صغري وأنا في المكتب بزاوية عم والدي بتنلان، مر بها متوجهاً لبلاد تجرارين، فحضرت إقرائه للمرشد المعين، فأعجبني تدريسه، فواعدته إن رجع لبلاده أن أرحل إليه للأخذ عنه، فلم يقدر لي ذلك. ثم لقيته مراراً بعد ذلك، واستفدت منه فوائد في النحو واللغة وغيرهما...، وحضرت دروسه فيها"¹³

مخطوط نفث القلم شرح لامية العجم:

بداية المخطوط:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله، الحمد لله الذب
 فضّل اللسان العربي على كل لسان، فهذا إن شاء الله تقييد على القصيدة
 الفريدة المشهورة بلامية العجم
نهاية المخطوط:

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل على يد كاتبه الأحب في
 الله البركة الفقيه السيد محمد عبد القادر بن الحاج عبد العزيز كتبه لنفسه ثم لمن شاء
 الله بغده ووافق الفراغ منه ضحوة الجمعة الموافق لثمانى وعشرين من ربيع الثاني عام
 اقلين وثلاثمائة وألف (1302هـ)، عبيد ربه محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن
 عيسى لطف الله به، آمين.

مصادر المخطوط:

الناظر في نفث القلم ينتبه إلى تلك الغزارة الأدبية التي امتلكها المزمري، فقد
 ظهر خلال شرحه في مستوى بياني وبلاغي عال يعكس حجم اهتمامه بالبيان العربي
 وإطلاعه عليه، وكثيرا ما كان يعتمد على تلك المعاني البلاغية والبيانية التي أقرّها
 العلماء قديما، لذا نجده يذكر البيان والمعاني والبديع، ومختلف المسالك المرتبطة بها
 جاعلا منها دليلا في شرح أبيات القصيدة. كما نجده يحلل الضرورات الشعرية التي
 انجذب إليها الطغرائي،

جعل المزمري القرآن الكريم واحدا من مصادره في شرح بعض الألفاظ، فقد جعل قول الله تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا﴾¹⁴، أنيسا في شرح لفظ قبلي الواردة في قول الناظم

أريد بسطة كف أستعين بها على قضاء حقوق للعلی قبلي

كذلك نجده يتخذ من الحديث النبوي الشريف مصدرا في الاستدلال، وهذا ما نقف عليه في ثنايا شرحه لقول الناظم:

يحمون بالبيض والسمر اللدان به..... سود الغدائر حمر الحلبي والحلل

فعند شرحه للحمرة أشار إلى الحديث المروي في شأن النبي عليه الصلاة والسلام وهو الحديث المروي عن البراء: "، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَعْرُهُ يَضْرِبُ مَنْكَبَيْهِ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكَبَيْنِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ»¹⁵

كما نجده يعتمد القاموس المحيط مصدرا معجميا، قال في شرح لفظ الحلبي: "قال في القاموس ولا تكون حُلَّةٌ إِلَّا مِنْ ثَوْبَيْنِ، أَوْ ثَوْبٍ لَهُ بَطَانَةٌ"¹⁶ وأيضا في شرح قول الناظم:

فادراً بها في نحر البید حافلة معارضات متون اللحم بالجلد

قال: قال في القاموس¹⁷ نحر الصدر أعلاه.

يستحضر المزمري في شرحه لبعض الأبيات أبياتا شعرية أخرى تبين دقة استحضاره للشاهد الشعري، حتى إن العلاقة بين الاستلال والمستل له لا تكاد تُبين، فقول الناظم مثلا:

أهبت بالحظ لو ناديت مستمعاً والحظ عني بالجهال في شغل
يعود المزمري قي شرحه للبيت بالاعتماد على لفظ واحد، وهو لفظ الحظ
الذي يرجع به إلى معاجم اللغة حيث يتخذ معنى الجد، كما قال الأنباري: "ويقال:
رجل حَظِيظٌ جَدِيدٌ، من الجَدِّ والحَظِّ"¹⁸، وكذلك إلى شاهده الشعري في قول
الشاعر¹⁹:

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن أحاظ قسمت و حدود
من أبين أهم المباحث التي تعكس القيمة الأدبية للمزمري استحضاره للأمثال
التي تداولها العرب قديماً، مع بيانه للسبب الذي جعلها مثلاً سائراً عندهم، يتضح
هذا عند استدلاله بالمثل المشهور "سبق السيف العذل"، وذكر لها قصة مقتضبة، من
المفيد ذكرها كاملة كما هي في كتب الأدب، فقد روي: "أن ضبة بعد ذلك بينما
وهو يسير والحارث بن كعب في الأشهر الحرم وهما يتحدثان إذا مرا على سرحة
بمكان فقال له الحارث: أترى هذا المكان؟ فإني لقيت فيه شاباً من هيئته كذا وكذا
- فوصف صفة سعيد - فقتلته وأخذت برداً كان عليه، ومن صفة البرد كذا وكذا
- فوصف صفة البرد - وسيفاً كان عليه فقال ضبة: ما صفة السيف؟ قال: ها هوذا
علي، قال: فأرينه، فأراه إياه فعرفه ضبة ثم قال إن الحديث لذو شجون (2) ثم ضربه
حتى قتله، فذهب قوله هذا أيضاً مثلاً. فلامه الناس وقالوا قتلت رجلاً في الأشهر
الحرم فقال ضبة: سبق السيف العذل فأرسلها مثلاً"²⁰

كذلك نجد المزمري يجعل من زهديات الفضيل بن عياض²¹ مصدراً له في
الشرح والاستدلال، فعند وصوله إلى شرح قول الناظم:

ويا خبيراً على الأسرار مطلعاً... اصمت ففي اصمت منجاة من الزلل
 واستفاض في شرح وتخرج لفظة الصمت في الأدبيات، وعضدها بورودها في
 الزهديات، وجعل مقولة القاضي عياض دليلاً في هذا، ولفظها عنده: "كنا نتعلم
 اجتناب السلطان كما نتعلم السورة من القرآن"، وأما لفظها كما في المصنفات: "
 «كنا نتعلم اجتناب الأمراء وأبوابهم كما نتعلم السورة من القرآن»²² .
 كما نجد في ذات السياق يستدل بمقولة الخليفة عمر بن عبد العزيز²³، ولفظها
 في مصنفات الكتب: "قال ميمون بن مهران: قال لي عمر بن عبد العزيز: يا ميمون
 احفظ عني أربعاً تصحب سلطاناً وإن أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر، ولا تخلون
 بامرأة وإن أقرأكم القرآن، ولا تصل من قطع رحمه فإنه لك أقطع، ولا تتكلم بكلام
 اليوم تعتذر منه غداً"²⁴
 هذه جملة المصادر التي اعتمدها المزمري في شرحه، وغيرها كثير مبثوث في ثنايا
 المخطوط.

من المعاني البديعية التي أشار إليها المزمري:

كثرة هي أيضاً المعاني الأدبية التي استل بها المزمري في شرح اللامية، خاصة
 المعاني المرتبطة بعلم البديع، ومن بينها:
عتاب المرء نفسه:

أشار المزمري أن هذا المعنى من القضايا المعروفة عند أهل البديع، وصل إليه
 المزمري في ثنايا شرحه لقول الناظم

فيم الإقامة بالزوراء لا سكاني... بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

فإن الشارح عمد إلى استحضار سبب إطلاق هذا المثل " لا ناقة لي ولا جمل" موضحاً أنه مثل يضرب لمن يتبرأ من الأمر، ومن دلائل قوة الشارح الأدبية تدليله لهذا بيت شعري آخر وهو قول الشاعر الراعي:

وَمَا هَجَرْتُكَ حَتَّى قُلْتُ مَعْلَنَةً ... لَا نَاقَةً لِي فِي هَذَا وَلَا جَمْلًا

إن وضوح لوم الناظم نفسه لبقاء بغداد دون سبب جعل الشارح يُشير إلى هذا المعنى البديعي الذي جاء عنه في كتب الأدب أنه من أفراد ابن المعتز²⁵،

المقابلة: " وهي: إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة"²⁶

إذا كانت المصادر تحتفظ بأن الديميري في شرحه لهذين البيتين قد أشار إلى النوع البديهي المسمى بالجمع مع التقسيم، لأنه "جمعهم في الميل على الأكوار، ثم قسمهم فقال: منهم مَن مال من التعب، ومنهم مَن مال من النعاس"²⁷ فإن المزمري يفضل الإشارة إلى "المقابلة" بحيث قابل الناظم أربعة أوصاف بأربعة أخرى في قوله:

طردت سرح الكرى عن ورد مقتله ... والليل أغرى سوام النوم بالمثل

والركب ميل على الأكوار من طرب ... صاح وآخر من خمر الهوى مثل

المبالغة:

المبالغة في تعريف الأدباء: وهي أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبغ فيما قصد له²⁸ وهو ذاته المعنى الذي وقف عليه الشارح في البيت التالي:

يقتلن أنضاء حبّ لا حراك به ... وينحرون كرام الخيل والإبل
ويعتبره مبالغة وصف أهل الكرم والجود الذين تحدث عنهم الطغرائي في البيت
الذي قبله:

قد زاد طيب أحاديث الكرام بما ... ما بالكرائم من جبن ومن بخل
تبينت نار الهوى منهن في كبد ... حرى ونار القرى منهم على القلل
الإيضاح: "وهو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس، ثم يوضحه في بقية
كلامه"²⁹، وهو عند الشارح في قول الناظم:

إن العلى حدثني وهي صادقة ... فيما تحدث أن العز في النقل
هذه أهم المعاني البديعية التي ذكرها المزمري في شرحه، مع أن في المخطوط
العديد من المسائل الأدبية التي انفرد بها في شرحه هذا مقارنة بما ذكره من تصدى
لشرح قصيدة الطغرائي كالدميري (ت 808هـ).
خاتمة:

في نهاية هذا التعريف المقتضب بالمخطوط تظهر جزء من القيمة العلمية
للمخطوط ككل، والقيمة الأدبية للمعاني التي تضمنها، ويبدو أن المزمري كان مطلعاً
بدقة عن القصيدة قبل الشروع في شرحها، ومن الضروري التنبيه أن قصيدة الطغرائي
لم ينتصب لشرحها الكثير والثابت هو المذكور عن الصفدي والدميري الذي يعد في
أصله مختصراً للصفدي، مما يجعل شرح المزمري هذا مهماً في الدراسات الأدبية
والشعرية.

لقد جاء هذا الشرح غنيا ومناسبا للانتظام في سلك الأعمال الأدبية الراقية، ساقه الشارح بلغة قوية وسلسلة ومتضمنا أهم الخطوات المطلوبة في شرح القصائد الأدبية، ربما نحتفظ بقيمة هذا العمل انطلاقا من قيمة القصيدة في حد ذاتها، فإذا كانت القصيدة قد استلت قيمتها من موضوعها وأسلوبها وصاحبها أيضا، فشرحها يحتفظ بذات القيمة ولذات السبب.

ليس غريبا إذا أن تتوالى الدعوات العلمية إلى الاطلاع فحسب عن الأعمال المخطوطة المختلفة التي تمكّن الباحث من معرفة قيمة العمل العلمية وقيمة صاحبه، ولعلّ هذا المخطوط دليل على هذا، فالقصيدة من عمق التراث الأدبي القديم، والقبيل الذين انتصبوا لشرحها كان المزمري أحدهم ، وربما أوحدهم في الشمال الإفريقي في ظل عدم وقوفنا على شرح لها غيره.

الهوامش:

1 — الشَّنْفَرَى (000 - نحو 70 ق هـ = 000 - نحو 525 م) عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان، شاعر جاهلي، يمني، من فحول الطبقة الثانية. كان من فتاك العرب وعدائهم. وهو أحد الخلعاء الذين تراءت منهم عشائريهم. قتله بنو سلامان. وقيست قفزاته ليلة مقتله، فكانت الواحدة منها قريبا من عشرين خطوة. وفي الأمثال: "أعدى من الشنفرى" وهو صاحب "لامية العرب التي مطلعها: "أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فإني إلى قوم سواكم لأميل"

شرحها الزخشري في "أعجب العجب" المطبوع مع شرح آخر منسوب إلى المبرّد، ويظن أنه لأحد تلاميذ ثعلب/ الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ج5، ص 85

2 — ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1900، ج2، ص 185

- 3 — الصفدي صلاح الدين خليل بن أليك بن عبد الله، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث — بيروت، 1420هـ — 2000م، ج12، ص 268
- 4 — وهي من أعمال الموصل بالعراق، قال صاحب البلدان:، وإربل: قلعة حصينة، ومدينة كبيرة، في فضاء من الأرض واسع بسيط، ولقلعتها خندق عميق، وهي في طرف من المدينة، وسور المدينة ينقطع في نصفها، وهي على تلّ عال من التراب، عظيم واسع الرأس، وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية، وجامع للصلاة، وهي شبيهة بقلعة حلب، إلّا أنّها أكبر وأوسع رقعة. وطول إربل تسع وستون درجة ونصف، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف وثلاث، وهي بين الزابيين، تعدّ من أعمال الموصل/ ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995 م، ج1، ص 137
- 5 — أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق؛ سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر، وخطب له بالعراقيين وأذربيجان وأران وأرمينية والشام والموصل وديار بكر وربيعة والحرمين، وضربت السكة باسمه في الخافقين، وتلقب بالسلطان الأعظم معز الدين. كان من أعظم الملوك همة، وأكثرهم عطاء، ذكر عنه أنه اصطبح خمسة أيام متوالية ذهب في الجود بما كل مذهب، فبلغ ما وهبه من العين سبعمائة ألف دينار، غير ما أنعم من الخيل والخلع والأثاث وغير ذلك. ولد يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة 479 بظاهر مدينة سنجار، ولذلك سمي سنجر، وتولى المملكة في سنة 490 نيابة عن أخيه بركياروق ثم استقل بالسلطنة في سنة 512. وتوفي يوم الاثنين 14 شهر ربيع الأول سنة 552. عمرو، ودفن بها/ ابن خلكان، مصدر سابق، ج2، ص 427
- 6 — بن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408، هـ — 1988 م، ج12، ص 201
- 7 — ولاية واسعة في طرف خراسان بينها وبين بلاد الهند، مخصوصة بصحة الهواء وعذوبة الماء وجودة التربة، وهي جبلية شمالية بها خيرات واسعة إلا أن البرد بها شديد جداً/ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر — بيروت، ج1، ص 428
- 8 — الدّميري، كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي، شرح لامية العجم (وهو مختصر شرح الصفدي المسمى الغيث المسحوم) تح: د. جميل عبد الله عويضة، 1429هـ / 2008م، ص 125

- 9 — ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، 2004م، ج1، ص 16
- 10 — ينظر مخطوط جوهره المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني، ص14. محمد بن عبد الكريم البكري./ ذكره الدكتور احمد جعفري
- 11 — جعفري أحمد، محمد بن أْبّ الجزائري (ت1160 هـ)(حياته وجهوده اللغوية، مجلة جامعة غرب كردفان للعلوم والإنسانيات/السودان، العدد5 يناير 2011، منشور على الشبكة الإلكترونية
- 12 — أحمد جعفري، المقال نفسه،
- 13 — المقال نفسه
- 14 — سورة النمل الآية 37
- 15 — مسلم بن الحجاج أبو الحسن، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الحديث رقم 2337، ج4، 1818.
- 16 — الفيروزآبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، ط2، 1426 هـ — 2005 م، ص 986
- 17 — المصدر نفسه، ج1، ص 479
- 18 — الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر، تحقيق، حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ 1992م، ج1، ص 20
- 19 — هو المعلوم
- 20 — المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، أمثال العرب، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت — لبنان، ط2، 1403هـ = 1983م، ص 48
- 21 — الفضيل بن عياض(187-105هـ/723-803م) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي: شيخ الحرم المكيّ، من أكابر العباد الصالحاء. كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق

- منهم الإمام الشافعيّ. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها. من كلامه: "من عرف الناس استراح"، الزركلي، المصدر السابق، ج5، ص 153
- 22 — التبريزي، أبو الخير بدل بن أبي المعمر بن إسماعيل، النصيحة للراعي والرعية للتبريزي، تحقيق: أبو الزهراء عبيد الله الأثري، دار الصحابة للتراث، طنطا مصر، ط1 1411 هـ — 1991م، ص 135
- 23 — عمر بن عبد العزيز (61 - 101 هـ = 781 - 720 م) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص: الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم. وهو من ملوك الدولة مروانية الأموية بالشام. ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد. ثم استوزره سليمان ابن عبد الملك بالشام. وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة 99 هـ فبيع في مسجد دمشق. وسكن الناس في أيامه، فمنع سب علي بن أبي طالب (وكان من تقدمه من الأمويين يسبون على المنابر) ولم تطل مدته، قيل: دس له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرة، فتوفي به. ومدة خلافته سنتان ونصف/ الزركلي، المصدر السابق، ج5، ص 50
- 24 — سراج الملوك، الطرطوشي أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري، من أوائل المطبوعات العربية - مصر، 1289 هـ، 1872م، ص 119
- 25 — ابن أبي الإصبع، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص 166
- 26 — العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله، الصنائع، تحقيق، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العنصرية - بيروت، 1419 هـ، ص 337
- 27 — الدميري كمال الدين، شرح لامية العجم تحقيق: الدكتور جميل عبد الله عويضة، طبعة: 1429 هـ/ 2008م، ص 50
- 28 — قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوائب - قسطنطينية، الطبعة الأولى، 1302، ص 50